

الفينيقيون واسهاماتهم الحضارية

للدكتور حسن عبدالعزیز أحمد
أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - جامعة الرياض

من هم الفينيقيون ؟

لم تكن معلوماتنا عن هذا الشعب العظيم ، قبل الاكتشافات الأثرية التي اميط عنها اللثام في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، سوى اخبار تتعرف عليها من كتابات اقوام اخرين مثل الاغريق والرومان وغيرهم من الشعوب الاخرى التي كانت لهم علاقات وصلات مع الفينيقيين .

ولما كان معظم انتاج الفينيقيين الأدبي قد اندثر ولم يبق الاقل القليل فلبس من المستغرب اذن أن نشوه صورة الفينيقيين الى حد كبير في المصادر اليونانية وغيرها . وعلى سبيل المثال يصف المؤرخ اليوناني ، بلوتارخ «Plutarch» ، الفينيقيين بالاستبداد والخذل . وفي القرن الثاني الميلادي نعتهم «Appian» ، اليوناني بأنهم قوم قساة جفاة في حالة قوتهم ، واذا ما اتاهم الضعف فهم اذلاء ، وينصفون بالخنوع ^(١) . ومن بين الذين كتبوا عن الفينيقيين نجد بعض المنصفين مثل «Pomponius الاسباني» ، الذي وصف الفينيقيين في القرن الأول الميلادي فقال :

« ان الفينيقيين سلالة ذكية ، متفوقون في الحرب والسلم ، وبارعون في الكتابة والأدب والفنون الاخرى والملاحة والمعارك الحربية وفي ادارة امبراطوريتهم » .^(٢١)
وحتى الآن لم نعر على وثائق فينيقية مكتوبة توضح لنا علاقات الفينيقيين بالشعوب الأخرى مثل المصريين والآشوريين ، أو أن تبين لنا أساليب الفينيقيين التجارية مع جيرانهم ورحلاتهم البحرية والمناطق التي وصلوا اليها ومنجزاتهم الفنية والصناعية .
وهكذا ينبغي علينا كباحثين أن نتعامل مع ما نقرؤه عن الفينيقيين في المصادر المختلفة بشيء من الحذر .

لقد عاش الفينيقيون على الشريط الساحلى الشرقى للبحر الأبيض المتوسط والذي يمتد من طرطوس شمالا حتى جبل الكرمل جنوبا . وهذه المنطقة أهمية جغرافية كبرى حيث تقع بين مهدين من مهد الحضارات القديمة ، فالى الجنوب تقع مصر والى الشرق تقع بلاد ما بين النهرين ، وشغلت الرقعة التي عاش فيها الفينيقيون أجزاء من الهلال الخصيب وفلسطين وسوريا ولبنان . وتأثرت نتيجة هذا الموقع بالمؤثرات الثقافية من مصر وبلاد بابل .

ولقد أطلق الانجيل اسم الكتعانيين على السكان الذين كانوا يقطعون هذه الرقعة الساحلية التي شغلها « فينيقيا » . وتاريخ وصول الفينيقيين الى تلك المنطقة غير معروف على وجه التحديد . ولكن الامر المؤكد ان هناك هجرات سامية من شبه الجزيرة العربية ومن منطقة الخليج العربي بالتحديد^(٢٢) قد توالى صوب ساحل البحر الابيض المتوسط ، وقد تمت الهجرة السامية الأولى في سنة ٢٣٥٠ ق.م تقريبا أى منذ أكثر من ثلاثة وأربعين قرنا ، وقد اتجهت هذه الهجرة صوب الشمال الى العراق وأست دولة الأكاديين جنوبى العراق . أما الهجرة الرئيسية الثانية فتتمثل فى تدفق العموريين فى نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ، وفى نهاية العصر البرونزى اندفع الآراميون صوب بلاد الشام فيها يوصف بالهجرة السامية الرئيسية

الثالثة . ومن المؤكد ان هناك هجرات سامية اخرى حدثت قبل الهجرتين الساميتين الاخيرتين كما تؤكد الادلة الاثرية .

ونشير رسائل تل العمارنة انه فى مسهل القرن الرابع عشر قبل الميلاد اطلق سكان كتعان على أنفسهم الاسم الاكادى « كيناهو Kinahu أو كيناهو Kinahu أو كيناهنا Kinahna »^(٢٣) . وتعنى كلمة « كتعان » فى اللغة العبرية « التاجر » وتنطبق هذه الصفة تماما على الفينيقيين .^(٢٤)

وفى حديثنا عن الفينيقيين نتساءل من أين جاكت هذه التسمية التى اشتهر بها هذا الشعب الكتعاني حتى طغت على اسمه الأصل ؟

نوجز الآراء التى قبلت بصدد تفسير هذه التسمية على النحو التالى :

١ — هناك رأى يرى ان الاغريق الذين كانت لهم صلة بالفينيقيين فى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد هم الذين أطلقوا هذه التسمية . ويرد ذكر Phoenix « فى أشعار هوميير ، ويبدو ان هذا الاسم يدل على اللون الأحمر الغامق أو البنى . ثم انتقلت التسمية الى شجرة النخيل Phoenix dactilifeva التى تتميز بثمارها الحمراء . وقد أطلق

الاعريق هذه التسمية على الكنعانيين لانهم بشر ذوو بشرة بيضاء .^(١٧)

٢ — يعتقد بعض الباحثين ان اسم الفينيقيين قد اشتق من صبغة حمراء أو أرجوانية تستخلص من محارات أو أسماك بحرية هي Murex Whelk والتي كانت تستخدم في صباغ الأقمشة الجميلة التي اشتهر الفينيقيون بصباغها .^(١٨)

٣ — استخدم الرومان تسمية « بوني Poeni » للدلالة على القرطاجيين وهذه التسمية اشتقاق لآتينى من الاسم الاغريقي الاصلى Phoenix . وقد كان الرومان يفرقون بين « اليونيين » الغربيين و « الفينيقيين » الشرقيين رغم اعترافهم بوحدة أصلها .

٤ — ويرى عبد الحق قاضل ان اسم فينيقيا مشتق من اسم الفينيقيين ، وأن اسم الفينيقيين محور من « بنى كنعان » ويعمل ذلك بأن اللاتين كانوا يسمون الفينيقيين والقرطاجيين Punicus كما تشهد بذلك المعاجم والمأثورات وأن القرطاجيين كانوا يسمون أنفسهم « بنى كنعان » كما تصرح بذلك رخامه^(١٩) عثر عليها في البرازيل ، ومكتوب عليها باللغة القرطاجية عام ١٢٥ ق.م ما ترجمته بالعربية :

« هنا نحن بنى كنعان من فرايم حملنا الحفارة ، أليس حراما أن نحصل هكذا ، . وقد أخذ اللاتين عن الاغريق صبغة التسمية Phoenices بالفاء . ثم نتيجة الاحتكاك المباشر بالفينيقيين — بنى كنعان — وجدوا أن الأصوب أن تنطق بالباء لا الفاء

Punicus' Poenicus' Poeniceus'

قالوا

Poeni و

كيف كون الفينيقيون دولتهم ؟

تميز سهول ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، حيث أقام الفينيقيون دولتهم ، بكثرة الكتل الجبلية المفروقة والتي تعوق استمرار الاتصال بين أجزائها ، وقد أدى ذلك الى قيام مجموعة من المدن كانت كل مدينة منها دولة قائمة بذاتها ، ويطلق على هذا النمط من الدول « الدولة المدنية » . وبطبيعة الحال كانت هذه الدول المدنية صغيرة وضعيفة عسكريا وغير مستقرة سياسيا . وبمرور الزمن استطاعت بعض المدن القوية أن تفرض سيطرتها على المدن الأقل قوة حتى انتهى الأمر بانحادها . ولما كانت فينيقيا تواجه البحر من الغرب وتواجه جبالا عالية من الشرق ، فقد اتجه

سكانها نحو البحر يعيشون على أسماكهم في بداية الامر ثم اتخذوه سبيلا للتجارة مع الأقطار المطللة عليه حتى برعوا في هذا المجال وساعدهم على ذلك أمور نذكر بعضها منها : ألفتهم للبحر الذي عاشوا على شواطئه ، ووفرة أخشاب الأرز على الجبال المجاورة لهم مما مكنتهم من استخدامها في صناعة السفن ، وكان لصفاء السماء أثر كبير في استعانة الفينيقيين بالنجم القطبي في اسفارهم .

وقد سعت المدن الفينيقية الى استغلال موارد بيئتها المحيطة بها ، واختلقت عما يسود في مجتمعات الدول المجاورة في انها (أى المدن الفينيقية) كانت مجتمعات حضرية اقتصاديا وسياسيا . وكانت جبلا Gubla (جبال الأنجيل وجبيل الحديثة) أول مدينة تظهر في فينيقيا . وقد عرفت جبلا عند الإغريق باسم بيبلوس Byblos الذى اشتقت منه كلمة Bible « وتعنى كتابا » وذلك لأن مدينة بيبلوس كانت مركزا لأوراق البردى التى شاع استخدامها آنذاك فى الكتابة .^(٩) وجدير بالذكر ان نشير الى أن مدينة بيبلوس هى المدينة الوحيدة التى لقيت اهتماما من علماء الآثار وحفظت بعدد من عمليات التنقيب . وقد ظهرت بعد بيبلوس مدن فينيقية أخرى مثل ارادوس (ارواد الحالية) ثم تلتها صور وصيدا .

علاقات الفينيقيين بحيرانهم :

تؤكد الأدلة الأثرية التى عثر عليها وجود علاقات تجارية بين الفينيقيين وحيرانهم ، فقد ثبت اتصال (جبلا) بمصر القديمة قبل ان يتوحد الوجهان القبل والبحرى في مملكة واحدة ، حيث كان الملوك المحليون يرسلون بعثاتهم الى لبنان للحصول على خشب الأرز والتوب الذى استخدم فى بناء السفن والمعابد والقصور ، وقد وجدت أقدم بقايا شجر الأرز فى هرم بناه سنفرو منذ أكثر من ٤٥٧٠ سنة (أى حوالى سنة ٢٦٠٠ ق.م) . وقد تم العثور كذلك على بعض الأواني الفخارية الكنعانية فى قبور ترجع لنفس هذه الفترة .^(١٠) وفى مقابل الاخشاب والفخار كان الكنعانيون او الفينيقيون يستوردون من مصر الذهب والبردى وبعض الادوات المعدنية ، واستمرت العلاقات التجارية بين مصر وساحل الشام وازدهرت برا وبحرا بعد ان أصبحت مصر امبراطورية ، وصارت بيبلوس وصور وصيدا أسواقا هامة ليس فقط لمصر بل ولدول الجزيرة العربية عبر « طريق البخور » . وارتبطت هذه المدن كذلك بمراكز التجارة والصناعة فى منطقة الهلال الخصيب .

ومعروف ان العلاقة التجارية والثقافية بين دول غير متكافئة فى قوتها تؤدي فى النهاية الى سيطرة الدول القوية وبسط نفوذها على الدول الضعيفة وهذا ما حدث بالفعل إذ أن المدن الفينيقية خضعت للنفوذ المصرى . وحينما اجتاحت المكسوس مصر السفلى سيطروا كذلك على فينيقيا لكن ذلك لم يدم طويلا إذ أن المصريين طردوا المكسوس واستعادوا فينيقيا التى أصبحت جزءا من امبراطوريتهم .

ويرد فى قوائم غناتم تحتشمس الثالث الذى استولى عليها من بلاد الشام ، الاطباق والأواني ، والمدى الذهبية ، والموائد المطعمة بالعاج والأبنوس والذهب ، مما يدل على دلالة واضحة على مستوى المعيشة المرتفع الذى كان يتمتع به الفينيقيون .

وفى بداية القرن الرابع عشر ق.م. سيطر الحيثيون والعموريون على فينيقيا ولم يستطع اختناون فرعون مصر آنذاك من الوقوف فى وجه الحيثيين أو صد هجراتهم لانشغاله بدينه الجديد الذى وحد الالهة . وحينما ولى رمسيس الثانى حكم مصر اعاد نفوذها وسيادتها على

فينيقيا ولم يستمر طويلا لان قوة مصر أخذت في الضعف وتقلص نفوذها تدريجيا مما أتاح للمدن الفينيقية في استعادة استقلالها. (١١)

استقلال فينيقيا وتوسعها الاقليمي : (انظر الخريطة رقم ١)

بعد أن اضمحلى نفوذ المصريين والحثيين نعمت المدن ولدة ثلاثة قرون (من ١٢٠٠ ق.م — ٩٠٠ ق.م) بفترة عمها السلم والازدهار والرخاء الاقتصادى . ولقد ساعد على استقرار المدن الفينيقية انها اختارت ملوكاً يحكون فى اطار ما يعرف بالحق الالهى مما أكسبهم هبة دينية ونفوذاً سياسياً . ولم تكن سلطنة هؤلاء الملوك مطلقة بل عرفت هذه المدن مجالس لكبار الشخصيات تضم قباطنة السفن والتجار وعمداء العائلات الارستقراطية . وكان هذه المجالس آراء يصغى اليها الملوك .

وقد تم فى بعض الفترات ظهور ائتلافات اختيارية بين بعض المدن إبتدقت من واقع المصالح الذاتية . ومما هو جدير بالذكر أن التنافس التجارى بين المدن والولاء للملك والتفانى فى مراعاة المصالح المحلية لكل مدينة كانت من الامور التى تحول دون ظهور وحدة حقيقية كاملة بين هذه المدن الفينيقية . وقد تصافرت مجموعة من الظروف الطبيعية مع العوامل البشرية السابقة فى بقاء هذه المدن دون ما وحدة جامعة تربط بينها . ومن هذه العوامل كثرة الانهار التى تفصل بين اجزاء فينيقيا المختلفة ، والكتل الجبلية التى تعوق الاتصال ، ووجود بعض المدن التى اتخذت من الجزر القريبة من الساحل مقراً رئيسياً لها . وعلى الرغم من الظروف السابقة فقد استطاعت بعض المدن من فرض اتحاد فيدرالى يجمع بين بقية المدن مثل :

١ — مدينة اوغريت Ugarit (راس شمرا الحالية) فى أواخر السادس عشر ق.م.

٢ — مدينة اردوس وجبلا فى القرن الرابع عشر ق.م.

٣ — مدينة صيدا فى القرن الثالث عشر ق.م.

٤ — مدينة صور فى القرن الحادى عشر ق.م.

ومن أشهر ملوك صور الملك حرام الاول Hiram I (حوالى القرن العاشر ق.م) وكان صديقا زحليفا للملك سليمان وهو الذى مد سليمان بالمعازين وعمال البناء الذين أقاموا معبده فى مدينة القدس وشيدوا بحريته او اسطوله Navy على خليج العقبة فى تل الخليفي .^(١٢)

وقد كان الاشوريون يتطلعون الى السيطرة على فينيقيا منذ اوائل القرن الحادى عشر ق.م . ولكن غزوهم الخفيى لم يتم الا بعد قرنين من هذا التاريخ حينما تمكن « آشور ناصر بال الثانى » (٨٨٣ — ٨٩٠ ق.م) وابنه « شلمنصر الثالث » (٨٥٨ — ٨٢٤ ق.م) من السيطرة على سوريا . وكان خضوع الفينيقين للغزاة الجدد خضوعاً اسمياً تجسد فى دفع جزية لهم . وظل هذا الخضوع الاسمى احيانا والثام فى احيان أخرى حتى جاك شلمنصر الخامس الذى فرض ضرائب باهظة على اردوس وبييلوس وصور . ثم خضعت صور « لسناخريب » عام ٧٠١ ق.م وجاء ابنه « اسارهدون » الذى دمر مدينة صور تماماً فى عام ٦٢٥ ق.م . ونلا ذلك اكتساح « آشور بانيبال » المدينة عام ٦٦٤ ق.م . وهكذا ضاعت آمال الفينيقين فى حكم بلادهم وتبددت احلامهم امام هجمات هذا الجيش القوى . وحينما سقطت نينوى على يد البابليين عام ٦١٢ ق.م. انهارت دولة الاشوريين وظهرت

قوة البابليين الذين رأوا أنهم ورتة الاشوريين في الساحل الفينيقي ، فشنوا هجوما على هذه المنطقة بقيادة « نيوخنصر الثاني » واحتلوا بيت المقدس ، لكن مدينة صور قاومت باستيصال لمدة ثلاثة عشر عاما قبل ان تخضع نهائيا للبابليين عام ٥٣٣ ق.م. الذين تمكنوا من بسط نفوذهم على تلك المنطقة . لكن سيطرة البابليين لم تدم طويلا حيث تمكن والفرس من الاستيلاء على ممتلكات البابليين في سوريا وفينيقيا التي قسموها الى ولايات وجعلوا عاصمتها صيدا . وقد استفادت فينيقيا ماديا من هذا الوضع الجديد حيث اتسع مجال تجارتها . وعندما اندلعت الحرب بين الفرس واليونانيين وقف الفينيقيون باخلاص الى جانب الفرس وعاونوهم وزودوهم بسفن من أساطيلهم . وبسبب صلف حكام الولايات من الفرس وارهاق الفينيقيين بالضرائب وبدأت حركات التمرد وقادت مدينة طرابلس اول انتفاضة ضد ظلم الحكم الفارسي وتبعها بقية المدن ، ولكن هذه الانتفاضة لم تدم طويلا اذ استطاع الفرس تدمير صور وصيدا عام ٣٥٠ ق.م. تقريبا . ثم جاء الاسكندرالمقدوني ليضع نهاية للحكم الفارسي الذي دام قرنين من الزمن .

ولقد رحبت المدن الفينيقية (ارادوس وبيبلوس وبيروت وصور) بالحكم اليوناني الا مدينة صيدا التي أثبت أن تخضع للمستعمر كعادتها وصمدت على مقاومته ، ولكن ذلك الموقف لم يرض الاسكندر فصمم ان يجعل منها عبرة ومثالا لسائر المدن فحاصرها لمدة سبعة أشهر حتى استسلمت ، وكان ثمن صمودها حيث أباد الاسكندر ثمانية آلاف من سكانها وباع ثلاثين ألفا منهم كآرقاء .^(١٢)

وبعد وفاة الاسكندر الاكبر اصبحت فينيقيا جزءا من المملكة السورية تحت حكم سلوقس Seleucid ، وفي عام ٦٤ ق.م. حل الحكم الروماني محل الحكم السلوقي وفقدت المدن الفينيقية استقلالها وشخصيتها وذهبت في كيان الامبراطورية الرومانية .

أهم اسهامات الفينيقيين الحضارية :

تمثل أهم الاسهامات الحضارية الفينيقية في المجالات الآتية :

- ١ — ابتكار الحروف الایجدية .
- ٢ — التفوق الملاحي والكشوف الجغرافية .
- ٣ — انشاء المستوطنات والموانئ الساحلية .
- ٤ — المهارة التجارية .
- ٥ — التبوغ في مجال صناعات عديدة .
- ٦ — التفوق في مجالات حضارية اخرى .

أولا : ابتكار الحروف الایجدية :

وترد في الانجيل اشارات عن تجارة الفينيقيين الاولى ، وذلك في المعاملات التجارية بين « حرام العظيم » ملك « صور » وبين « داود » و « سليمان » والتي كانت تتكون من شحنات من اشجار الارز مصحوبة بنجارين وبنائين لبناء منزل « لداود » وكذلك « لسليمان » الذي كان يعطى « حرام » مقابل ذلك ألف معيار من القمح وعشرين معيارا من الزيت كل سنة . ثم قام « حرام » بمساعدة « سليمان » بالاهتمام بشؤون تجارة البحر الاحمر ، وذلك بتسويله بالسفن والريابنة الذين أبحروا الى أوفير Ophir (في الهند ؟) وجلبوا منها الذهب .^(٣١)

وترد اشارات عن شهرة الفينيقيين التجارية في المصادر الاغريقية ابتداء من الالباذة والادوبسا فنازلا . ويبدو ان حركة النقل التجاري بين فينيقيا وبلاد اليونان قد تقلصت تماما اثر ازدهار التجارة الاغريقية في القرن الثامن ق.م . مما أدى الى تناحر بين الدولتين المستعمرتين بلغ أوجه عام ٤٨٠ ق.م . بهزيمة « قرطاجة » على يد الاغريق . وقد لقي الفينيقيون المنافسة الاغريقية أيضا في اسبانيا ولكنهم استطاعوا استعادة نفوذهم بطرد الاغريق من الساحل الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة .^(٣٢)

وبالاضافة الى تجارة الفينيقيين في المواد الحثام مثل الأخشاب من لبنان والمعادن من الغرب والصبغة الارجوانية التي اشتهروا بها ، فانهم كانوا يتاجرون أيضا بالبضائع المصنعة مثل الأقمشة والمنتجات الزراعية والأدوات المعدنية بجانب دورهم كوسطاء في بعض الأحيان في نقل البضائع الاغريقية والمصرية . وتشير الى ذلك المخلفات التي عثر عليها في « قرطاجة » من الخانم والقلائد المصنوعة في مصر والتي وجدت بكيات كبيرة وتسمى زمنا لفترة حكم الاسرة السادسة والعشرين . ويبدو ان البضائع المصنوعة في مصر قد اخذت نقل بعد نهاية القرن السادس ق.م ، واخذت تحمل محلها منتجات المصانع الفينيقية في الغرب أو « قرطاجة » نفسها .^(٣٣)

ومن المحتمل ان الفينيقيين والاغريق كانوا يتاجرون مع ايطاليا ، لأن وجود بعض البضائع الفينيقية مثل الزجاج والقلائد ، والمصنوعات العاجية الخ .. تدل على وجود صلة بين هؤلاء وبين المستعمرات الاغريقية في ايطاليا . ولأنه من المستبعد أن تكون هذه البضائع قد وصلت على متن السفن الاغريقية او حملها الاترسكيون الذين لم تكن لهم صلات تجارية مع مدن الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، فيمكن الافتراض بأن الفينيقيين أنفسهم هم الذين أتوا الى هناك . ومعروف أيضا من نص المعاهدة التي وقعت بين « قرطاجة » و « روما » عام ٥٠٩ ق.م ، ان الاولى كانت لها مصالح تجارية في أواسط ايطاليا . وبموجب هذه المعاهدة التي حددت مناطق النفوذ السياسي والتجاري بينهما ، وافقت « قرطاجة » على عدم الحاق الضرر بمدن رومانية معينة وعدم اقامة قلعة في لانيوم Latium^(٣٤)

وكان للفينيقيين صلات تجارية مع دول أخرى .. مثل « اوفير Ophir » (التي لم يحدد موقعها بالضبط .. ويرجح انها في الهند) وفي افريقيا عن طريق البحر الاحمر . اما فينيقيو « قرطاجة » فقد أنشأوا صلات تجارية عن طريق البر والبحر مع المناطق الواقعة جنوب



الوصول الى الاراضي الزراعية الغنية في سوريا . وكانت الغابات التي تغطي هذه الجبال مصدرا لأخشاب الارز والتبوت التي اعتمدت عليها صناعة السفن . ومعروف ان الساحل الفينيقي تكثر به التعاريج مما اتاح قيام الموانئ الجيدة كما كان ضيق الاراضي الزراعية دافعا لهم للاتجاه نحو الصناعة والبحر .

لكل هذه الاسباب ألف الفينيقيون ركوب البحر وقاموا برحلات عديدة واستكشافات مثيرة .

وقد أبحر الفينيقيون في البحر الابيض المتوسط ولكننا لا نستطيع ان نطلق على هذه الرحلات بانها استكشاف وذلك لان طرق الملاحة الرئيسية في هذا البحر كانت معروفة ومطروقة منذ العصر البرونزي ان لم تكن قبل ذلك . ولكن نقف على اسهام الفينيقين في الكشف الجغرافي يجب ان ننظر الى ما وراء هذا البحر .. ومن حسن الحظ ان هناك اشارات وردت في بعض قصص الكتاب القدماء تساعدنا في التعرف على منجزاتهم في هذا المضمار ^(١١٦) وهي ثلاث رحلات قاموا بها فالمؤرخ هيرودوت مثلا يصف لنا كيف استطاعت

قفة من الفينيقيين بايعاز من فرعون ومصر تحاو الثاني (٦٠٩ = ٥٩٣ ق.م) الإبحار عن طريق البحر الأحمر لندور حول افريقيا في رحلة استغرقت ثلاثة أعوام كانوا خلالها يتوقفون كل عام لزراعة المحاصيل وحصدتها للحصول على المؤن الغذائية ثم يعاودون السير ^(١١٧) . وهذه القصة لقبث قبولا عند مثير من المعلقين المحدثين وذلك استنادا على الكلام الذي ورد على لسان الرحالة أنفسهم بأنهم عندما كانوا يبحرون حول ليبيا (افريقيا) كان موضع الشمس على يمينهم ^(١١٨) .

اما الرحلتان الأخريان فهما : رحلة « هانو Hanno » الذي ذهب حتى غرب افريقيا ثم رحلة هيميلكو Himilco الذي أبحر شمالا حول شبه جزيرة ايبيريا . ولأن اخبار هاتين الرحلتين لم يرد ذكرهما في كتابات « هيرودوت » الذي كتب عن الرحلة حول افريقيا المشار اليها آنفاً ، فن المرجح ان الرحلتين لم تحدثا حينذاك بل حدثتا حوالي عام ٤٢٥ ق.م أو في وقت لاحق بقليل . ومعرفتنا برحلة « هانو » أكثر من معرفتنا برحلة « هيميلكو » لان وصف هانو القصير عن رحلته قد حفظ لنا في ترجمته الاغريقية ، في حين ان رحلة « هيميلكو » لا نعرف عن تفاصيلها الا ما تضمنته كتاب « Ora Maritima » للكاتب الجغرافي الروماني « افينوس Avienus » الذي كتب في القرن الرابع ق.م ويرد ذكر الرحلتين أيضا عند « بليني الأكبر Pliny » الذي أبدى شكوكه في صدق رحلة هانو . وقد بوشرت الرحلتان عندما كانت قرطاجة تحاول جاهدة تقوية وتدعيم مصالحها في الغرب خاصة بعد المنافسة الاغريقية التي عاقت تقدمها في بسط نفوذها على الاماكن القريبة منها . وربما كان الغرض من رحلة « هيميلكو » هو فتح « طريق القصدير » الغربي لان الكبات المستخرجة من مناجم اسبانيا لم تعد تكفي لسد احتياجات الدولة . ولعدم وجود مصادر اخرى عن هذه الرحلة غير اقتباس « افينوس » لقصة عمرها ثمانمئة سنة فاننا لا نستطيع تحديده الاماكن التي وصل اليها « هيميلكو » في رحلته هذه على وجه الدقة ولا اين انتهت . ولكن:

من بعض أسماء الأماكن التي وردت في الكتاب نستطيع ان نستخلص بأن « هيلكو »
 واصل رحلته بدون توقف عبر القنال الإنجليزي حتى « كورنول » في جنوب غربي بريطانيا
 ممهدا بذلك الطريق لقرطاجة لتشارك في تجارة القصدير البريطاني مع تجار البحر الأبيض
 الأخرين الذين كانوا ينقلونه على الطريق البري عبر بلاد الغال (فرنسا). (١١)
 وليس هناك دليل أثرى مباشر يؤكد اتصال الفينيقيين ببريطانيا في ذلك الوقت مما يؤيد
 قصة « هيلكو » ، ولو أن هناك عدداً من مخلفات أثرية ترجع للعصر الحديدي وجدت في
 كورنول تشير الى وجود اتصالات ابرية ، والتقود القرطاجية التي وجدت في بريطانيا تنتمي
 الى فترة لاحقة ولا تعنى بالضرورة وجود اتصال مباشر بين البلدين . (١٢)
 أما بالنسبة لرحلة « هانو » فالوضع يختلف تماما . فالخطوة الوحيدة الباقية لا يتعدى
 عمرها الزمني القرن العاشر الميلادي ، وتعرضت للتحريف نتيجة النقل الكثير . ورغم ذلك
 فالقصة تعرضت للتعليق من قبل كثير من الكتاب المحدثين لطرافتها والتفاصيل التي اشتملت
 عليها . وقد نقل معظم الكتاب القصة الاساسية ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في تعريف وتحديد
 الأماكن التي ذكرها « هانو » وفي أقصى نقطة وصل اليها في رحلته . فالقصة تنقصها الدقة
 ومليئة بالتناقضات . وقد قبل في تفسير ذلك بأن « هانو » ربما لجأ الى ذلك للتشويه ولتضليل
 أعداء « قرطاجة » وتخريفهم حتى لا يتبعوا أثره وينافسوه في خيرات البلاد التي
 اكتشفوها . (١٣)

ويجري نص القصة كالآتي :

- « هذه هي قصة رحلة هانو (ملك القرطاجيين) الطويلة في البلاد الليبية التي تقع في
 وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) والتي أهداها علي لوحة إلى معبد كرونوس : — (١٤)
 ١ — قرر القرطاجيون ان يبحر هانو الى ما وراء أعمدة هرقل ويؤسس مدنا فينيقية —
 لبيبة . وفعلا أبحر «هانو» في ٦٠ سفينة وفي رفقة ٣٠٠٠٠ رجل وامرأة مع كل
 الامدادات والمؤن والضروريات .
 ٢ — وبعد أن أبحروا فيها وراهم الأعمدة لمدة يومين فنا بانشاء أول مدينة أطلقنا عليها اسم
 « ثيماتيريون Thymiaterion » في ربوة وفي أسفلها كان يقع سهل فسيح .
 ٣ — ومن هناك أبحرنا غربا حتى وصلنا « سولويس Soloeis » وهي عبارة عن
 ربوة أو قفة جبلية ناتئة تغطيها الأشجار وعليها أنشأنا معبد « بوسيدون Poseidon » .
 ٤ — ثم واصلنا الرحلة شرقا لمدة نصف يوم حتى وصلنا بحيرة قريبة من البحر يغطيها
 دغل من القصب الطويل نضات عليها الاقيال وحيوانات أخرى مفترسة .
 ٥ — وبعد مسيرة يوم واحد من هذه البحيرة أنشأنا مدنا ساحلية تحمل الأسماء الآتية :
 « كريكون تاينوس Krikon Teichos » و « غابت Gyte » و « أكرا
 Akra » و « مليتا Melitta » و « أراميس Arambys » .
 ٦ — ومن هناك واصلنا السير حتى وصلنا النهر الكبير « ليكوس Lixos » الذي
 ينبع من ليبيا وعلى جانيه برعى الرعاة الذين يدعون « الليكيت Lixitae » .
 قطعناهم ، وقد قضينا فترة معهم وأصبحنا أصدقاء .

- ٧ — والى الداخل من موطن « الليكيت » يقطن الاثيوبيون غير المضامين في أرض تعج بالحيوانات المتوحشة وتحيط بها جبال عظيمة ، ويقول هؤلاء بأن نهر « ليكوس » ينبع من هناك ، وانه يعيش وسط هذه الجبال ساكنو الكهوف Troglodytes : قوم ذوو مظاهر غريبة ويعبرون أسرع من الخيول على حد زعم « الليكيت » .
- ٨ — وبمساعدة مترجمين من « الليكيت » أبحرنا جنوبا على طول الساحل الصحراوي لمدة يومين ، ثم أبحرنا شرقا لمدة يوم واحد ووصلنا جزيرة يحيطها خمسة استاديا (حوالي ٥ كم) وتقع في الطرف الآخر من الخليج وعليها أنشأنا مستوطنا اطلقنا عليه اسم « سيرن Cerne » ، التي تقع على حسب تقديرتنا مقابل قرطاجة مباشرة لان المسافة من قرطاجة الى أعمدة هرقل ومن هناك الى سيرن تبدو متساوية .
- ٩ — ومن هنا أبحرنا في نهر كبير يسمى « شرتيس Chretes » حتى وصلنا بحيرة بداخلها ثلاث جزر اكبر مساحة من سيرن . وبعد مسيرة يوم كامل وصلنا الى نهاية البحيرة ، وتشرف عليها جبال عالية تزخر باناس متوحشين يلبسون جلود حيوانات متوحشة وقد أخذوا يرموننا بالحجارة وألقوا في طردنا ومنعنا من الارساء على البر .
- ١٠ — ومن هناك واصلنا الابحار حتى وصلنا الى نهر آخر واسع يعج بالثاسيح وفرس البحر ، ثم قفلنا عائدين الى « سيرن » .
- ١١ — ومن « سيرن » أبحرنا جنوبا لمدة اثني عشر يوما على مقربة من الساحل الذي كان يقطنه الاثيوبيون الذين كانوا يهربون منا وكانوا يرطنون بلغة لم يستطع حتى « الليكيت » فهمها .
- ١٢ — وفي آخر يوم ألقينا مراسينا قرب جبال عالية تكسوها أشجار ذات أوراق مبرقشة ولها رائحة ذكية .
- ١٣ — وبعد أن أبحرنا حول هذه الجبال لمدة يومين وصلنا خليجا كبيرا يحف به على الجانبين سهل تغطيه بالليل نيران صغيرة وكبيرة توقد على مسافات معينة .
- ١٤ — وبعد ان تزودنا بالماء من هنا أبحرنا لمدة خمسة أيام على طول الساحل حتى وصلنا خليجا أطلق عليه مترجمونا اسم « القرن الغربي Horn of the West » ، وكانت به جزيرة كبيرة بها بحيرة مالحة وبداخلها جزيرة اخرى صغيرة رسونا عليها . وأثناء النهار لم تقع أبصارنا الا على غابات مترامية الاطراف ، وعند الليل رأينا نيرانا تشتعل وسمعنا أصواتا مبهمة تصحبا ذقات الطبول وعزف الناي . وقد تملكنا الخوف وغادرنا الجزيرة بعد أن نصحنا العرافون بذلك .
- ١٥ — ومن هنا أبحرنا بسرعة وطفنا حول ساحل مغمم برائحة البخور الحترقة ، وكانت انهار الحمم النارية تنشق طرفها الى البحر ولم تستطع الاقتراب من اليابسة لشدة الحرارة .
- ١٦ — وعلى عجل غادرنا ذلك المكان وأبحرنا لمدة أربعة أيام كنا خلالها نرى النيران وهي تتصاعد في الليل بتوسطها هيب طويل يكاد يصل عنان السماء ، وعند النهار عرفنا انه جبل عال يطلق عليه « عجلة الالهة Chariot of the Gods » .
- ١٧ — ولقد واصلنا الابحار على طول ساحل ملتهب مليء بالحمم لمدة ثلاثة أيام حتى

وصلنا خليجا يسمى « القرن الجنوبي Horn of the South » .

١٨ — وفي الطرف البعيد من هذا الخليج ظهرت جزيرة في وسطها بحيرة وبداخلها جزيرة تعج بالثوحشين كان أكثرهم اثانا ذوات أجسام مغطاة بالشعر عرفها المترجمون بالغوريلا . وقد قنا بمطاردهم ولكننا لم نستطع القبض على الذكور الذين تسلقوا الصخور وفروا بعيدين وهم يرموننا بالحجارة ، ولكننا استطعنا القبض على ثلاث اناث لأنهن لم يقاومن بشراسة . وقد قنا يقتلن وأتينا بجلودهن الى قرطاجنة . وتوقفنا عن الابحار هنا لنفاذ مؤتنا .

الى هنا ينهى نص القصة ...

هناك اتفاق عام حول تحديد ومطابقة المواضع التي ذكرها « هانو » ليكوس الذي اتفق على أنه « وادي دراع Draa » « جنوبي المغرب . أما « الليكيت » فيبدو انهم « البربر » في حين ان « الاثيوبيين » زنوج كما تعنى كلمة « اثيوبيا » في اللغة الاخرقية . واستخدام « الليكيت » كترجمين يوضح الى حد ما معرفة هؤلاء بالاقاليم الواقعة الى الجنوب من منطلقهم . اما تحديد موقع « سيرن » التي أسسها « هانو » على مسافة ثلاثة أيام من نهر « ليكوس » فهو مهم جدا لانها تمثل أبعد مستوطنة دائمة للقبليين على ساحل غرب افريقيا ورد ذكره على لسان الكتاب القدماء . وقد افترضت ثلاثة تحديدات لموقع « سيرن » :

- ١ — جزيرة هيرن Herne مقابل الصحراء (الاسبانية سابقا) .
- ٢ — جزيرة اركوين Arguin على مسافة ٢٠٠ ميل من جزيرة هيرن .
- ٣ — جزيرة غير محددة بدقة قرب دلتا نهر السنغال .

ويتفق معظم المصنفين المحدثين أن نهر « شرييس » هو نهر السنغال . وقد استبعد ان يرجع « هانو » الى « هيرن » بعد ان وصل الى نهر السنغال ولذلك يرجع ان يكون موضع « سيرن » قرب مصب نهر السنغال . ونجد بعض التأييد لهذا الرأي في وصف حركة النقل والتجارة في « سيرن » الذي ورد في كتابات « سكاپلاكس Scylax » الذي تكلم عن « مدينة كبيرة كان الفينيقيون يحرون اليها » . وهذا الوصف ينطبق على مدينة نهرية ... ولا يوجد نهر صالح للبلاحة قرب جزيرتي « هيرن » و « أركوين » . وبالإضافة الى ذلك فان هذا الساحل الصحراوي المنفر ليس بالمكان الذي تقام فيه مستوطنات لتدعيم علاقات تجارية مع منطقة أهلة بالسكان . ويعتقد ان ما فعله « هانو » هو أنه أبحر في فرع من فروع نهر السنغال في اتجاه المنبع ورجع عن طريق آخر نحو مصبه ووجد النهر يعج بالتماسيح وأفراس البحر . أما التوجه الجبل المكسو بالأشجار فقد يكون « الرأس الأخضر Cape Verde » . ويمثل الخليج الكبير مصب نهر غامبيا .

ويبد الخلاف بين الكتاب عن آخر نقطة وصل اليها الرحالة هانو : بعضهم يقولون بأنه وصل الى « الكبيرون » أو حتى « جابون » في حين يحدد آخرون « سيراليون » كأخر نقطة

وصل إليها ، وهذا الفريق الأخير يستند فيما ذهب إليه على نقطتين أساسيتين :
الأولى :

قلة الرياح في خليج غينيا والحرارة الشديدة والتيارات العكسية مما يجعل التجديف مرهقا
وصعبا خاصة لمسافات طويلة .
والثانية :

التوقيت الزمنية التي يذكرها «هانو» تتناقض مع رحلة طويلة كهذه .
أما الذين يرجحون الرحلة الطويلة (الى الكيرون وجابون) فيستندون في حججهم على
الآتي :

ان جبل «الكيرون» وهو جبل بركاني مرتفع (١٣٣٧٠ قدم) يطابق حسب الوصف
« عجلة الافة » أكثر من جبل « كاكوتوما » (٢٩١٠ قدم) في غينيا .^(١٣)
أما عن النشاطات الفينيقية في استكشاف جزر المحيط الاطلسي فالأدلة عليها قليلة جدا .
ولكننا لا نستبعد ان يكون الفينيقيون على معرفة بجزر « ماديرا » و « كناري » لقربها من
الساحل الافريقي الذي أنشأوا عليها مستوطنات تجارية لهم . والمرجع القديم الوحيد هو رواية
« ديودورس » عن سفينة ضلت طريقها في المحيط الاطلسي بسبب الرياح الشديدة ورسد
في جزيرة ذات مناخ طيب — ربما تكون « ماديرا » . ويذكر « ديودورس » أيضا كيف أن
الأتروسكيين Etruscans حاولوا تأسيس مستوطن لهم هناك ولكن القرطاجيين
منعهم من ذلك .. ولكن لم يعثر على مستوطنات فينيقية في جزيرة « ماديرا » حتى
الآن .^(١٤)

أما جزر « كناري » فهي قريبة جدا من الساحل الافريقي لدرجة اننا لا نستبعد معرفة
الفينيقيين بها ، وان كان بقاء حضارة قبيلة « الجوانش Guanche » كما هي في بدايتها
وتأخرها حتى القرن الخامس عشر الميلادي وبدون أي تغيير يدل على عدم احتكاكهم
بمحضارات أجنبية . ومن المحتمل أيضا ان الفينيقيين وصلوا جزر « الازور » . فقد عثر فيها في
عام ١٧٤٩ على ثمانى قطع نقود يونية تنتمي الى القرنين الرابع والثالث م . ولكنها
فقدت .^(١٥) ولكن يجب ألا نعلق أهمية كبرى على هذه العملات الا من الناحية
الاستكشافية ... فاذا كانت الجزر القريبة من الساحل الافريقي مثل « ماديرا » و « كناري »
خالية من المستوطنات الفينيقية فمن المستبعد أن نبحت عن هذه المستوطنات في جزيرة بعيدة
مثل « الازور » .

أما بالنسبة للاستكشافات البرية عبر الصحراء الكبرى فالإشارة الوحيدة لها هي ما ورد
في قصة كاتب يوناني يدعى « اثيبوس » (حوالى عام ٢٠٠ ق.م) ذكر بأن قرطاجيا يدعى
« ماعو Mago » عبر الصحراء ثلاث مرات .. بدون ماء !^(١٦) ورغم ما في القصة من
مبالغات فالتا يجب ان لا نستبعد اغراءات ثروات افريقيا للتجار الفينيقيين واحتمالات تجهيز
رحلات تجارية عبر الصحراء للحصول على هذه الثروات اما بأنفسهم أو بواسطة وسطاء مثل
الجرمانيين Garamates الذين كانوا يقطنون المنطقة الخلفية لمدينة طرابلس الحالية .
ويذكر « هيرودوت » أن خمسة ناسمونيين Nasamones قد عبروا الصحراء ووصلوا

مدينة يسكنها زوج أقزام ، ونهر يجري من الشرق الى الغرب وتكثر فيه الخنازير .^(٢٧) وربما يكون نهر النيجر . وكانت هناك طرق برية تربط بين قرطاجة ومصر .
ويعتبر الفينيقيون أول من أبحروا في المحيط الأطلسي ، وأول من استوطنوا في جزيرة « سردينيا » وأسوا بها خمسة مستوطنات وذلك حوالي عام ٨٠٠ ق.م. كما أنهم أول من استعانوا بالنجم القطبي North Star في الإبحار ليلا مستخدمين جداول المسافات .
وقد اطلق الاغريق ، الذين تعلموا فن الملاحة من الفينيقيين ، على هذا النجم اسم « النجم الفينيقي » وقد طور الفينيقيون سفنهم الشراعية حتى تتمكن من الإبحار بعيدا عن الساحل لمسافات طويلة في رحلاتهم التجارية .

ثالثا : إنشاء المستوطنات او المستعمرات :

يرجع تاسيس المستعمرات الى فترة الاستقلال الفينيقي ، وربما دفع الغزو الاشوري الفينيقيين الى الاسراع في اقامة المستعمرات بالاجزاء الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط في محاولة لايجاد مرافئ آمنة وأسواق جديدة . ويبدو ان هذه العملية بدأت حسب قول « بيليني وديودورس وسيلبولوس » في أواخر القرن الثاني عشر ق.م ، على ان الفترة ما بين القرن العاشر والسابع ق.م هي التي شهدت اقامة معظم المستعمرات^(٢٨) في حوض البحر الأبيض المتوسط ابتداء من سيليبيا (جنوب تركيا) ومصر عبر اليونان وصقلية الى جنوب بلاد الغال (فرنسا) واسبانيا وشمال افريقيا وقبرص ومالطة وابرزا وسردينيا ، وما زالت بعض هذه المستعمرات تحمل الاسماء السامية مثل : قادس في اسبانيا (بمعنى حائط) وبوتيكيا (المدينة القديمة) وقرطاجه (المدينة الجديدة) ومالطه (ربما سامية بمعنى مأوى) وتربط اسطورة يونانية مدينة (كورنث) باله من أصل «صوري» يدعى « ملكارات Melkarth » « وان زائرا صوريا يدعى «كادموس Cadmus» (بمعنى القادم الجديد) أتى بالحروف الابجدية وأنشأ « طيبة » ثم واصل سيره للبحث عن اخته «أوروبا» التي اشتقت القارة اسمها منها .^(٢٩)

وأشهر المستوطنات الغربية هي « قرطاجة » وقد تم تأسيسها حوالي عام ٨١٤ ق.م على يد مستوطنين من « صور » ، وقد أخذت « قرطاجة » تقوى سياسيا وتجاريا حتى فرضت سيادتها على جزء كبير من شمال افريقيا وجنوبي اسبانيا ، وأصبحت منافسا خطيرا للمدينة الناشئة آنذاك روما ، وعندما أخذت « صور » تعاني سياسيا وتجاريا من التوغل الاشوري الزاحف والتنافس الاغريقي المتزايد ، أخذت قرطاجة دور الحامي للمستعمرات الفينيقية المجاورة لها وهكذا ازداد نفوذها حتى امتدت امبراطوريتها من ليبيا حتى اسبانيا .

وقد بلغ مجموع المستوطنات الفينيقية خمسين مستوطنة على أقل تقدير ، وتنافوت هذه المستوطنات من محطات تجارية صغيرة الى مدن كبيرة مثل قرطاجة وقادس وقرطاجة الجديدة في اسبانيا ، ولما كان الهدف من وراء تأسيس هذه المستعمرات تجاريا في المقام الأول فان هذه المستوطنات لم تشهد هجرات على مستوى كبير من الوطن الأم — فنيقيا .

بدأت تجارة القوافل في الشرق الأدنى — على حسب ما ورد في الإنجيل — في وقت مبكر ، وكانت تأتي بالعاج والرقيق والحبوب والماشية والذهب من أفريقيا الى آسيا وترجع محملة بالمعادن والمنتجات المعدنية والأقمشة الى مصر ، وكانت البضائع الخفيفة الوزن تنقل برا على ظهور الدواب بينما كانت الطرق البحرية الساحلية والنهرية تستخدم — كلما سحت الفرصة — لنقل البضائع الثقيلة مثل الخشب .^(٣٠)

وتوضح النقوش الآشورية سفنا نهرية صغيرة يقودها فينيقيون وهي نمرغ حمولتها من الخشب في بلاد ما بين النهرين ، ولكننا لا ندرى كيف وصلت السفن الى هناك وربما تكون الأخشاب قد انقلبت برا من الأجزاء الدنيا من نهر العاصي أو عن طريق البحر الى « طرسوس » (في تركيا) ومنها الى بلاد ما بين النهرين عبر الطريق الرئيسي من آسيا الصغرى .

ويرد ذكر التجار الكنعانيين من « بيلوس » في الكتابات المصرية ابتداء من المملكة القديمة فصاعدا ، وليس من المستبعد ان تكون الملاحة والتجارة والتبادل الفكري قد استمر بين المنطقتين بدون انقطاع حتى استقلال فينقيا . وقد كانت الامبراطوريتان المصرية والآشورية تشجعان هذه التجارة لما يعود عليهما من فوائد اقتصادية ، وما من شك في أن المدن الساحلية قد تركت لتخارص هذه التجارة بحرية وبدون تدخل من هاتين القوتين . ولكن المغامرات البحرية الفينيقية الطويلة لم تبدأ إلا بعد حوالي ١٢٠٠ ق.م ، حين انهزم المينيون والما يسينون الذين كانوا يسيطرون على تجارة الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، ومنذ فترة كانت المدن الساحلية الفينيقية تتحين الفرصة لتنتقل بتجارها الناشئة الى آفاق جديدة نحو الغرب : فسكان بحر ايجه المهزومون كانت لهم صلات تجارية قوية بجنوب ايطاليا وصقلية وجزر البحر التيراني كما ان أخبار ارسابات المعادن الغنية في اسبانيا (حديد وقصدير) وبريتاني وبريطانيا (قصدير) كانت شائعة في ذلك الوقت . وقد أعانهم في اقامة الصلات التجارية الجديدة التجار المايسينيين الذين استوطنوا في المدن الفينيقية .^(٣١)

ومن المحتمل ان افجرات الفينيقية الاولى كانت لغرض التجارة أكثر منها للاستيطان والاستعمار .. ورغم ان التوغل العبري Hebrews قد أدى الى ازدهام سكاني في هذه المنطقة الساحلية . مما أدى الى هجرة بعض السكان الاصليين من الكنعانيين شمالا نحو المدن الفينيقية فمن المستبعد أن تكون هذه الزيادة السكانية قد جاءت نتيجة لاستيطان المستعمرات الكثيرة التي انشئت في البداية كما تصورها المصادر القديمة . واذا استثنينا بعض المدن الرئيسية مثل « قرطاجه » و « يوتيكا Utica » و « قادس » فمن المرجح أن معظم تلك المستعمرات الاولى ، خاصة في الغرب ، كانت عبارة عن مرافئ على مسافات معينة من بعضها البعض حيث تلقى السفن مراسيها لفترة لتتروود بالمؤن ثم تعاود المسير . وعدم وجود بقايا أثرية خاصة بهذه الفترة في هذه المواضع قد يؤدي هذا الكلام .

في مقدمة ما أسهم به الفينيقيون حضاريا ابتكارهم لنظام الحروف الأبجدية الحالي وهم بهذا الابتكار قد أسدوا خدمة جليلة للبشرية جمعاء ، ولا يقل هذا الابتكار عن اكتشاف الزراعة أو الثورة الصناعية من حيث أهميته . لقد كان الانسان في البداية يستخدم صورا ليعبر عن آرائه للأخرين ، وطريقة استخدام الصور طريقة مرهقة وبطيئة نشأت مستقلة في عدة اماكن ثم تطورت الى نوع من الكتابة المقطعية والتي تطورت بدورها الى الكتابة الأبجدية التي ظهرت في مصر لأول مرة ، ولكن الأبجدية المصرية (الهيروغليفية) كانت رموزا ، وكانت هذه الرموز أربعة وعشرين رمزا كل منها عبارة عن صورة من البيئة المحلية . وقد ظهرت الكتابة الصورية أيضا في سومر وبابل ، وهي ما يعرف بالحروف المسارية وكان على المرء اذا أراد ان يعبر عن نفسه ان يتقن استخدام ٥٦٠ رمزا يمثل كل رمز منها مقطعا .^(١١)

ولما كانت هذه الوسائل التي استخدمها الانسان في الكتابة بطيئة ومرهقة ولم تكن عملية في التعاملات التجارية ، فقد ابتكر الفينيقيون نظام الأبجدية الحالية . ونحن لا نعرف على وجه الدقة كيف تم ذلك الابتكار وكل ما نعرفه ان التجار الساميين الذين كانوا يتاجرون مع مصر في شبه جزيرة سيناء استطاعوا تطويع الرموز المصرية ، ووصل هذا التطوير الى الفينيقيين الذين ادخلوا عليه الكثير من التعديلات في القرن الثالث عشر ق.م حتى صار نظاما ابجديا يتكون من اثنين وعشرين حرفا بعد حذف الحروف اللينة .^(١٢)

واقبس الفينيقيون من المصريين أيضا طريقة الكتابة ورق البردي بحبر مصنوع من عصارات نباتية ، وكانت هذه الطريقة أجدى وأيسر من طريقة البابليين الذين كانوا يجمعون لوحات من الطين اللين حتى تجف بعد الكتابة وتصبح قوية .

ويبدو ان الفينيقيين هم أول من نظم حروف الكتابة ورتبها ترتيبا ثابتا وأطلقوا على الحرف الأول « ألف Aleph » « ثور » والغائي « بيت beth » « متزل أو بيت » وهكذا ، واقبس الاغريق الحروف الفينيقية وقلدوا أصواتها وقالوا « ألفا Alpha » « و » بيتا Beta » . وقد اشتق تعبير أبجدية أو Alphabet من الحروف الأولى وفق تنظيم الفينيقيين .

وهكذا نجد أن نظام الأبجدية اسهم فينقى لولاه لاخذت الحضارة منحى مختلفا ولما قطعت البشرية هذا الشوط العظيم في مجال العلوم والثقافة .

ثانياً التلوق الملاحى والكشوفات الجغرافية : (انظر الخريطة رقم ٢) .

اتجه الفينيقيون الى البحر لعوامل عديدة منها ان فينقيا كانت مطوقة بدول قوية من الشمال (الحبشون) ومن الشرق (الأراميون) ومن الجنوب (الفلسطينيين) وكان الطريق الوحيد المفتوح أمامهم هو الاتجاه نحو الغرب الى البحر . كما كانت جبال لبنان العالية التي كانت تحمى المدن الساحلية من هجمات الأراميين كانت ايضا حاجزا يحول بين فينقيا وبين

الصحراء الكبرى ونيجيريا وربما المناطق الجنوبية من غرب أفريقيا . فقد كانت الصحراء الكبرى آنذاك أقل جفافا وكانت هناك طرق قوافل بين مصر وموريتانيا وبين ساحل البحر الأبيض وبين نيجيريا ، ومن المرجح ان الفينيقيين هم الذين أتوا بمنتجات هذه الرقعة الكبيرة من الذهب والعاج والحيوانات البرية والمستأنسة الى المناطق المتحضرة حول البحر الأبيض المتوسط وربما كان القرطاجيون يستخدمون طريقا داخليا الى مصر يمر عبر واحة سيوه . ويؤيد « هيرودوت » وجود تجارة ساحلية للفينيقيين مع سكان الساحل الغربي لشمال أفريقيا تمارس فيها اسلوب المقايضة . وترد قصة عرضية في كتاب « رحلات Periplus » اغريقي عن تجارة قائمة بين الاثوبيين والتجار الفينيقيين في ساحل غرب أفريقيا الممتد حتى مدينة « سيرن Cerne »⁽³⁷⁾ وهناك بقايا أثرية فينيقية عثر عليها حديثا في المغرب مما يدل على وجود صلات تجارية مع هذه المنطقة .

ويتخذ الفينيقيون أول من وضعوا قوانين للمعاملات التجارية البحرية وقد عرفت باسم Rhodian Law نسبة الى جزيرة رودس ، وبنص القانون على أن أية خسارة يكتبها قبطان بحري نتيجة محاولاته لانقاذ سفينة اذا تعرضت للخطر (غرق مثلا) لا بد ان يتقاسمها جميع أصحاب البضائع الذين هم بضائع في هذه السفينة بنسب معينة . ومثلا اذا اضطر قبطان سفينة لرمي بضاعة أحد التجار في البحر في سبيل انقاذ سفينة من غرق محدد فان خسارة هذا التاجر يتحملها كل التجار الذين هم بضاعة في السفينة وصاحب السفينة . وكان هذا القانون مطبقا في كل أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط ويعرف في القانون البحري الحديث بـ Gross average

العملة الفينيقية :

مع أن استخدام العملة في التجارة بدأ في بلاد الاغريق اثناء القرن السابع ق.م ، وأصبح شائعا في بداية القرن السادس ق.م ، الا ان الفينيقيين لم يهتموا بفكرة استخدام العملة مبكرا رغم ميولهم وتزعاتهم التجارية . فطبيعة تجارتهم وتاريخها وعاداتهم التجارية القديمة واتصالاتهم الكثيرة واحتكاكهم مع اقوام بدائية في معاملاتهم التجارية اكتسبهم مهارة في استخدام اسلوب المقايضة . وحتى عندما كان الفينيقيون خاضعين لسيطرة الفرس لم يقوموا بأية محاولة لصك عملة لانهم لم يروا فائدة تجني من ذلك ولان تجارتهم مع بلاد الاغريق كانت قد اضمحلت تماما .

وفي حوالي منتصف القرن الخامس ق.م ، ضربت أول عملة فينيقية في « صور » وتبعها « صيدا » و « ارادوس » و « بيلوس » في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع ق.م ، وربما يدل على هذا الضعف السياسي الذي أصاب الامبراطورية الفارسية والتبعات التجارية الفينيقية مع بلاد الاغريق . أما باقي المدن فلم تضرب عملتها حتى الفترة الهلنستية . وقد كانت هذه النقود الفينيقية مصنوعة من الفضة او البرونز ، أما العملة الذهبية السائدة آنذاك فكانت الدارية Daric نسبة الى دارة الفارسي .⁽³⁸⁾

أما المدن الفينيقية في الغرب فقد بدأت سك عملاتها في وقت لاحق . وكانت أول نقود « قرطاجية » تتكون من ذهب على الطريقة الفينيقية ومن دراخما فضبة على مقياس عملة يونيكيا ، وقد ضربت هذه النقود في صقلية في نهاية القرن الخامس ق.م عندما كانت « قرطاجة » في حاجة الى نقود لتدفع المرتبات لجنودها . وقد سكّت هذه المجموعة من النقود على الطريقة الفينيقية من ذهب وبرونز والكتروم (مزيج طبيعي من ذهب وفضة) . اما العملات الفضية فقد كانت نادرة حتى أواخر القرن الخامس ق.م حين استولى هملكار Hamilcar على مناجم الفضة الاسبانية . ومنذ نهاية القرن الثالث ق.م سادت النقود البرونزية في « قرطاجة » وانتشرت الى اماكن عديدة حتى بريطانيا والأزور .^(٢٨)

أما المدن الفينيقية الاخرى في الغرب التي كانت تمتلك عملات خاصة بها وذلك قبل القرن الثالث ق.م فتتمثل في « صقلية » التي بدأت في سك عملتها في القرن الخامس ق.م ، وقادس و « أيبزا » (القرن الثالث ق.م) ، وكانت « قرطاجة » تملك دار سك في « قرطاجة الجديدة » في اسبانيا وكانت معظم عملاتها من الفضة .

خامسا : النبوغ الصناعي عند الفينيقين :

أوضح الأتجيل وكذلك الحفريات الاثرية أن الكنعانيين كانوا ، مثل بقية الشعوب السامية يعترفون الزراعة والرعي ، ومن المتوقع ان هؤلاء الكنعانيين أخذوا صيد الأسماك حرفة عندما استقروا بجانب البحر ، كما أن كثرة الأخشاب الصالحة لعمل السفن في الغابات الجاورة كانت من الاسباب التي أدت الى قيام تجارة بين « بيلوس » ومصر في الاخشاب . وقد عمل الفينيقيون على تطوير صناعات محلية قوامها المواد الخام المحلية ثم المواد المستوردة . ومن الصناعات التي نبغ فيها الفينيقيون : —

١ — الصناعات الخشبية والحجرية :

كان لوفرة أشجار الأرز في لبنان دور في حذق الفينيقين صناعة الأدوات المصنوعة من الخشب ، وقد كان الخشب يستخدم بكثرة في بناء المنازل خاصة في الزخارف الداخلية . وكانوا أيضا يبنون منازلهم من الحجارة والأجر والطين .. ولكن المنازل التي تتكون من عدة طوابق كانت تبنى عادة من الأخشاب . وكثير من التوابيت الخشبية التي وجدت في مصر كانت من عمل الفينيقين .^(٢٩) وكانت الاثانات الخشبية تطعم بالعاج وكذلك بعض التماثيل الخشبية ، ولكن معظم هذه الأعمال قد اندثرت مع الزمن . وقد برع الفينيقيون في الأعمال الحجرية كبناء المنازل والمعابد والتوابيت وقد كان لوجود

الأحجار لأعمال البناء أهمية كبرى في اختيار مواقع مستعمراتهم الجديدة ، وكانت أكثر الاحجار استعمالا هي الجيرية والرملية لسهولة نحتها . ولكن أحجام القوالب الحجرية كانت غير متناسقة ويتوقف الحجم على الغرض الذي سيستخدم من أجله : ففي بناء الحيطان الحاجزة كانوا يستخدمون قوالب كبيرة غير منحوتة بدقة في حين أن بناء المنازل كان يتطلب أحجاما أصغر منحوتة بدقة وعناية مع استخدام « مونه » من الجير أحيانا .^(١٠)

٢ — صناعة النسيج والصباغة :

لا نعرف على وجه الدقة والتحديد كيف نشأت صناعة النسيج عند الفينيقيين ولا عن الصناعة نفسها لانه لم يعثر على بقايا أقشة فينيقية في الاماكن الأثرية الفينيقية ولا حتى من مصر التي كانت تزخر بأنواع من الأقمشة المختلفة . ولكننا نرى في نقوش المقابر المصرية آسيوبيين من عناصر سامية يلبسون ثيابا صوفية واسعة وذات ألوان كثيرة وبعضها ملفوفة حول الجسم بعناية . وفي « بوابة البلوات » التي أقامها « شلمنصر الثالث » قرب مدينة « نمرود » في العراق لتسجيل حملاته نرى الفينيقيين وهم يلبسون ثيابا طويلة وملفوفة حول أجسامهم مع قطنسوات ، وبما أن الصور المنحوتة توضح الزى العادي للفينيقيين كالذي نراه في النقوش المصرية فليس بعيد أن تكون تلك الصور تمثل الفينيقيين . ويبدو من هذه النقوش ان الفينيقيين كانوا يفضلون الزى المتقن الصنع ذا الالوان الكثيرة والمطرزة . وحتى في « قرطاجة » احتفظ الفينيقيون وخاصة الرجال ، بزيمهم الشرقي وكان تمسكهم بزيمهم مثار تعليق الرومان والاغريق ، وكان لبسهم بسيطا في شكله ومنظره ، أما النساء فقد أترن الازياء الاغريقية .^(١١)

هذا وقد عثر على أدوات الغزل والنسيج في بعض المقابر ، كما أن هناك بعض اشارات عابرة لصناعة النسيج في بعض كتابات الكتاب القدماء مثل « ديودورس » ويبدو من هذه الاشارات ان هذه الصناعة كانت تتم في المنازل .

أما فن الصباغة فقد كان منتشرًا في أرجاء الممالك الفينيقية ، وكانت « صور » و « صيدا » من أهم مراكز هذه الصناعة . ويبدو انها كانت محتكرة عند الفينيقيين الشرقيين ولكن بقايا اصناف المريق Murex وأوعية الصباغة التي عثرت في الغرب تدل على أن هذه المهنة كانت تمارس هنا أيضا .. كما في « دار عسافي Essafi » قرب « رأس بون » في تونس التي كانت مركزا لصناعة الأصباغ وصيد الاسماك . ويمكن أن نعتبر الفينيقيين أول من استخدموا صبغة المريق في صبغ الأقمشة . والطريقة كالتالي : عندما يموت هذا الرخوى ويتعفن يفرز سائلا أصفر اللون يضاف على القماش درجات من اللون تتراوح من الاحمر الوردي الى البنفسجي الغامق ويزداد اللون غمقا عند التعرض لأشعة الشمس . وطريقة عمل الصبغة هي أن يكسر الصدف وتستخرج المادة الداخلية وترمى في الأوعية حيث تتحول الى

سائل . ولأن عملية استخراج الصبغة وعملية صبغ الأقمشة كانت مكلفة فقد كانت الأقمشة الارجوانية غالية لا يقتنيها الا الاثرياء .

٣ — الأعمال المعدنية :

استخدم الحديد في منطقة ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. عندما كانت « فينقيا » تنطلع للاستغلال ، ولا يستبعد أن يكون الفينيقيون قد عرفوا الحديد لان الفلسطينيين كانوا يستخدمونه أيضا . ولكن الفينيقيين اشتهروا بمهارتهم في الاعمال النحاسية والبرونزية والمعادن النفيسة حيث كانوا يستجلبون النحاس من قبرص وبعض البلاد الاسيوية ، والذهب والفضة من أثيوبيا وربما من آسيا الصغرى . وقد كان الطلب على هذه المعادن وكذلك القصدير كبيرا ولذلك سعى الفينيقيون للحصول عليها ابنا كانت متوفرة . ورغم انه لم يعثر على بقايا معامل المعادن للآن في المواضيع الا انه ربما يعثر عليها في المستقبل . وذلك لأن ذكر مصاهر الحديد والنحاس يرد في نقوش العمران الجنائزية كما تظهر عليها صور المطارق والمقابض وأدوات أخرى مماثلة كما ان هناك اشارات في كثير من الكتب القديمة على مهارة هؤلاء العمال الفينيقيين في هذا المجال .^(٢١) وكذلك وجدت بعض الادوات المعدنية ومن أبرزها — من الناحية الفنية والمهارة — تلك الاواني المعدنية المزخرفة والتي تنتمي للقرن السابع ق.م والتي عثر عليها في « قبرص » و « إتروريا » في ايطاليا و « نمرود » وفي اليونان . وقد امتاز الفينيقيون في صنع وتصميم أدوات الزينة المعدنية خاصة من الفضة والذهب ، ونجد أنواعا من العقود والاقراط والقلائد والاساور ليس في « فينقيا » و « قبرص » فحسب بل في « قرطاجنة » ، و « سردينيا » . اما أدوات الزينة الذهبية التي وجدت في اسبانيا فقد ظهر بأنها من صنع فنيين محليين تأثروا بالفينيقيين .^(٢٢) كما وجدت الاواني والأدوات الفخارية وباعداد كبيرة في كثير من الأماكن الفينيقية .

صناعة الزجاج وصلقه :

عرف الفينيقيون صناعة الزجاج منذ وقت مبكر وبرعوا فيها لدرجة ان « بليني » كان يعتقد بأن الزجاج قد تم اختراعه في « فينقيا » . واذا كان ذلك صحيحا فلا بد ان نشير الى ما يسمى بـ *Gore-made glass* أو الزجاج الذي كان يصنع عن طريق النفخ والذي اخترع حوالى الألف الاولى قبل الميلاد . وقد وجدت انواع من المصنوعات الزجاجية في المواقع الفينيقية مثل القلائد والقائم والجعل ويعتقد بأنها فينيقية الصنع .^(٢٣) وقد عرفت صناعة الزجاج أيضا في بلاد الرافدين ومصر ، ولكن زجاج هذين البلدين كان يختلف من حيث الشكل والتفاصيل عن الزجاج الذي كان معروفا ومنداولا في منطقة

البحر الابيض المتوسط . وحتى في مصر فان هذا النوع من الزجاج لم يكن معروفا في الألف الأولى ق.م الا في منطقة الدلتا ولذلك يمكن أن ينسب هذا الزجاج الى الساحل السوري أى « فينيقيا » أو جزيرة « رودس » . وفي الوقت الحاضر لا نستطيع أن نفرص في ذلك .. والى أن يبت في هذا الموضوع فهناك قول « بلبني » المشار اليه بأن الزجاج من اختراع الفينيقيين . أما الزجاج البارد Cold-cut glass فقد كان من اختصاص الاشوريين الذين كانوا يستخدمونه في قصورهم منذ القرن الثامن ق.م وشاع استخدامه عند الفرس بعد ذلك بثلاثة قرون ، ولكن هناك اختلافا في الشكل . وبعض الزجاج الذي وجد في اسبانيا يعمل الشكل الفينيقي الخالص الذي نجده في الادوات المعدنية والحرفية .

الملاحم الاخرى للحضارة الفينيقية :

على الرغم من أن الحضارة الفينيقية هي اساس حضارة سامية الا أن لها ملامح مميزة تظهر واضحة في دينهم وفنهم وأديبهم .

الدين :

وعمل الفينيقيون الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط اثناء العصر البرونزي عندما كانت الزراعة تمثل المصدر الرئيسي للمعيشة . وكان دينهم يتعلق أساسا بالقوى الطبيعية وعملياتها الغامضة التي كانت تمنحهم النبات والحيوان لاطعامهم . وكانت آلهتهم آفة اخصاب لها ارتباط بالاشجار والحقول والانهار والينابيع وتم عبادتهم أحيانا في معابد ولكن في الغالب الاعم فوق التلال . وكانت كل مدينة تطلق على رئيس الهيا اسم ب « بعل » (بمعنى مالك أو سيد) وعلى رفيقته اسم « بعله » (بمعنى عشيقة) وكانت عبادتها تتم سويا . وقد اكتسب « ملكارت » « بعل » مدينة « صور » شعبية كبيرة عندما أعادت المدينة تتفوق وتزدهر . أما رئيس الهة مدينة « اوغاريت Ugarit » « فكان يعرف بـ « أل El » ورفيقته باسم « ألآت Elat » ، وكان له ابن يدعى « عليان Aliyan » وابنة باسم « عشتارت Ashtar » .

أما طفوس عبادة الاخصاب فكانت تتضمن البكاء على موت الهة النبات في الصيف والدعاء له لكي يتغلب على عدوه (الهة الموت Mot) ، ثم الاحتفال ابتهاجا بعودة الحياة للآلهة في فصل الربيع . أما عبادة الاخصاب لـ « تموز » (ادونيس) و « عشتار » التي كانت تأخذ « بيبيلوس » مركزا لها ، فقد انتشرت الى « قبرص » و « اليونان » والعالم الروماني . و « عشتار » هي بعلة مدينة « بيبيلوس » . ومن الطفوس الاخرى التي كانت تمارس حول معبد « عشتار » ما يسمى بالدعارة المقدسة وكذلك قتل الاطفال حديثي الولادة . (20)

يعكس الفن الفينيقي نفس تلك السمات التي تميز بها فن المرحلة الاخيرة من العصر البرونزي في كونه مؤلفاً من عناصر مستمدة من مصادر مختلفة وفي محاولته للتوفيق بين المعتقدات (الدينية) المتعارضة . وكما تحمل الفنون الفينيقية طابع الاقطار التي كانت تتاجر معها فانها أيضاً تركت أثرها وطابعها على فنون هذه البلاد . ومثلاً نجد النفوذ المصري ظاهراً في النقوش العاجية والفجوهرات في حين أن الأوعية المعدنية المنقوشة تعكس نفوذ بلاد ما بين النهرين والاناطول . ولكن هذا لا يعني ان الفينيقيين كانوا مقلدين فقط ، فقد تجلت عبرتهم واصالتهم في الاسلوب الجديد والاضافات التي جادت بها قرائح الحرفيين وكانت نتيجة تلك الاعمال الفنية الرائعة التي تميزوا بها . فقد برع الحرفيون الفينيقيون في اعمال البرونز والنحاس ووصلوا بصناعة الزجاج والعاج الى آفاق جديدة ومستوى رفيع . أما في الاعمال المعدنية فلم يكن لهم نظير ، وفوق هذا فقد اشتهروا بأنهم أول من قاموا بزخرفة اواني الزينة (الزهريات) المعدنية بالزهور الصناعية . وقد تأثر الفن الاغريقي بالفن الفينيقي . ولقد برع الفينيقيون في نحت العاج الذي كان شائعاً في « فينيقيا » وسوريا وكذلك في « قرطاجة » وقد كان الفينيقيون يستوردون سن الفيل من الهند (وبلاد بنت) عبر البحر الاحمر بعد ان نفذ المورد السوري ، في حين ان القرطاجيين كانوا يستوردون ما يحتاجون اليه من العاج من الاقاليم الجنوبية ومن المزارع الخاصة لتربية الافعال التي أنشئت في شمال افريقيا (لغرض تمويل الجيش بالافعال للاغراض الحربية) . وكان العاج المنقوش يستخدم في زخرفة او تطعيم الاثاثات المنزلية وعمل التماثيل والادوات الصغيرة مثل الامشاط والصدادين الصغيرة وادوات الزينة ودبابيس الشعر . وكانت التجارة في هذه الادوات العاجية رائجة جداً . أما الادوات المصنوعة من العظم كانت عادة تستخدم في تزيين الصناديق الخشبية وادوات الزينة مثل اوعية المرهم وكذلك للتأتم والاختتام .

وقد حفظ الفينيقيون التراث الفني لعصر البرونز من الضياع في العصور المظلمة ونقلوها للغرب ، ونحن مدبتون لهم بمعرفتنا الحالية عن انتاجات المراكز الحضارية التي سادت في تلك الفترة . وبواسطتهم انتشرت الاشكال الحيوانية *Moties* الايرانية والاسكانية في اقليم البحر الابيض المتوسط واصبحت تقلد بواسطة اليونانيين والايطاليين . أما عن ادبهم فقد سبقت الاشارة الى اختراعهم للحروف الأيضية ، أما باقي اعمالهم الأدبية فقد اندثرت الا التذر اليسير منها .

ولان الزراعة كانت تمثل — خاصة في قرطاجة — قطاعا اقتصاديا مهما عند الفينيقيين فقد اهتم الفينيقيون بالرى وتمرسوا فى هذا الفن قبل ١٥٠٠ ق.م وربما ساعد هؤلاء فى انتشار فن الرى حول الشواطىء الجنوبية للبحر الابيض المتوسط وذلك من خلال رحلاتهم التجارية ومستعمراتهم التى اقيمت هناك .

الخلاصة :

الفينيقيون أمة بحرية عاشت على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى منذ القرن الرابع عشر ق.م وقد عرفت بالكنعانيين واطلق اليونانيون على الكنعانيين اسم الفينيقيين من Phoenix الذى يدل على اللون الاحمر .

وقد دفعت الظروف الجغرافية الفينيقيين الى الاتجاه نحو البحر الابيض المتوسط حيث نشأت المدن الفينيقية على ساحله وكانت كل مدينة بمثابة دولة وكانت هذه المدن تتحد احيانا فيما بينها مكونة اتحادا فيدراليا تحت زعامة احدى المدن القوية . وفى فترة استقلال فينيقيا من النفوذ الاجنبى توسعت اقليميا وانشأت مستعمرات عديدة فى حوض البحر الابيض منها « قرطاجة » .

ولقد أسهم الفينيقيون اسهامات حضارية كبيرة ، أهمها على الاطلاق ابتكار نظام الابجدية السائد الآن ، ونبوغهم فى فنون الملاحة البحرية حيث أبحروا فى المحيط الاطلسي ، واستعانوا بالنجم القطبي فى اسفارهم ليلا وداروا حول افريقيا وعرفوا ساحلها الغربى . كما اشتهروا بمهارتهم التجارية حيث وضعوا قانونا للمعاملات التجارية كما تفوقوا فى بعض الصناعات كصناعة السفن وصناعة الزجاج والاصباغ والاقنشة وصناعة ادوات الزينة العاجية والذهبية .